ولهذا تجدون أجوبة النبي صلى الله عليه وسلم في التفاضل بين الأعمال أنه يخاطب كل إنسان بما تقتضيه حاله, وبهذا ينفك الإشكال الذي يرد على النفس حيث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم في بعض الأحاديث أفضل الأعمال كذا وكذا, وفي بعضها أفضل الأعمال كذا وكذا, فيقال أن هذا الاختلاف هو على حسب حال المخاطب, نقول: بعض الناس طلب العلم أفضل في حقه, وبعض الناس الجهاد في حقه أفضل, فمن كان وعاء للعلم حفاظا فاهما مكابدا للعلم فهذا طلب العلم في حقه أفضل لأنه ينتج أكثر وينفع المسلمين أكثر, ومن كان على غير هذه الحال, قليل الحفظ قليل الفهم ولكنه شجاع قوي بطل فهنا الجهاد في حقه أفضل, ولكل درجات مما عملوا.

يقول الله عز وجل: **((ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون))** ألم تر: هذا الاستفهام للتقرير, لأن همزة الاستفهام إذا دخلت على النفي صارت مقررة له, فمعنى ألم تر: أي رأيت, والخطاب إما للرسول صلى الله عليه وسلم أو لكل ما يصح أن يتوجه إليه الخطاب, وهذا الخطاب يرد كثيرا في القرآن, وقد بينا أن الخطاب الموجه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أو الذي ظاهره أنه موجه إلى الرسول عليه الصلاة والسلام ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما هو مختص به قطعا, والقسم الثاني: ما هو عام له وللأمة قطعا, والقسم الثالث: ما لا يتبين فيه هذا ولا هذا.

أما الأول وهو الخاص بالرسول قطعا فهو خاص به ولا إشكال في ذلك مثل قوله تعالى: **((ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك))** **((ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى))** وما أشبهها الخطاب هنا للرسول عليه الصلاة والسلام خاصة ولا يشمل الأمة.

وأما الذي له ولغيره قطعا فمثل قوله تعالى : **((يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقهن))** لم يقل إذا طلقت النساء, فدل هذا على أن الخطاب الخاص به له وللأمة, لأنه خاطبه أولا بالنداء ثم وجه الخطاب إلى الأمة عموما فقال: **((إذا طلقتم))** فدل هذا على أن الخطاب الخاص به بالنداء ليس خاصا به بل هو له وللأمة.

ما ليس كذلك, يعني ما ليس هذا ولا هذا اختلف فيه العلماء رحمهم الله هل هو خطاب خاص بالرسول عليه الصلاة والسلام ولا يشمل الأمة إلا حكما على سبيل التأسي به أو أنه عام للرسول عليه الصلاة والسلام ولغيره, ويكون الخطاب فيه لمن يصح خطابه ؟ والخلاف في مثل هذا

يكاد يكون لفظيا لأن الجميع متفقون على أن هذا الحكم ثـابت للرسـول ولغيره, لكن إذا قلنا أنه خاص بـه صـار بالنسـبة لغيـره عامـا علـى وجـه التأسي والقدوة, لكن الحكم لا يختلـف فـي الواقـع, لأنـه إن لـم يشـمل الأمة لفظا فقد شملها حكما للأمر بالتأسي به صلى الله عليه وسلم.

فهنا: **((ألم تر إلى الذين يجادلون))** من أي الأقسام الثلاثـة ؟ هـذا مما يدخله الاحتمال أنه خاص بالرسول عليه الصلاة والسلام أو عام لكل من يتوجه إليه الخطاب.

((أم تر إلى الـذين يجـادلون فـي آيـات اللـه)) قـال المؤلـف : " **القرآن** " وهذا التفسير يعتبر قاصرا, لأن آيـات اللـه أعظـم مـن كونهـا كونيـة أو شـرعية, وأعظـم مـن كونهـا بـالقرآن أو التـوراة أو الإنجيـل أو غيرها من الكتب المنزلة على الرسل, فالصواب أن نقول: في آيات الله الكونية والشرعية, وأولى ما يدخل فيها القرآن.

والمجادلة هي المنازعة مع الخصم من أجل صـرفه عمـا كـان عليـه مـن المخاصمة, مأخوذة من الجدل وهو فتل الحبل حتى يحتكم ويكون قويـا, هؤلاء الذين يجادلون في آيات الله يجادلون الرسل وأتباعهم, فالمجادلـة بين الرسل وأتبـاعهم كـانت منـذ أن أرسـل الرسـل إلـى يومنـا هـذا, ولا تستغرب أن يوجد من يجادل في آيات الله عز وجل فـي هـذا الزمـن لأن هذا هو سنة الله عز وجل منذ أرسل الرسل قال الله تعالى: **((وكذلك جعلنا لكـل نـبي عـدوا مـن المجرميـن))** كـل نـبي لـه عـدو مـن المجرمين, وإذا كان له عدو من المجرمين فلابد لهـذا العـدو أن يجـادل, وبالتالي أن يجالد بالسيوف.

المجادلة في آيات الله الكونية أن ينكر أن يكـون اللـه هـو الخـالق, وقـد وجد هذا فعلا, وجد من ينسب ما يحدث في الكون إلـى الأمـور الطبيعيـة دون أن يكون لها مدبر, وقال: هذه طبيعة تتفاعل وينتج منها مـا يشـاهد؛ يوجد من يجادل في آيات الله الكونيـة بـالأمور الـتي دون ذلـك, مثـل أن يثبت شيئا من الأسباب لم يجعله الله سببا كما يحدث لأهل الجاهلية مـن التشاؤم بالطيور والأماكن والأزمان وما أشبه ذلك, فهـم يتشـاءمون مثلا في الأزمان بشهر صفر, يقولون أن هذا الشهر شهر شر يتشـاءمون بـه, يتشاءمون أيضا بالطيور بنوع الطيـر أو بكيفيـة طيرانـه أو باتجـاهه أو مـا أشبه ذلك, يتشاءمون أيضا بالأشخاص يرى الإنسان الرجل أول مـا يـراه فيتشاءم به, حتى كان هذا موجود إلى عصرنا فيما يظهـر, بعـض النـاس في جهة ما من المملكة إذا أتى ليفتح دكانه ثم قابله شخص قبيح المنظر

مثلا قال: خلاص اليوم شؤم ما فيه بيع ولا شراء, هذا تشاؤم بالأشخاص, هذا أيضا من المجادلة في آيات الله الكونية.
أما المجادلة في آيات الله الشرعية فحدث ولا حرج, يكذبون بآيات الله الشرعية ينكرونها يجادلون في بعض الأمور فيها, يقولون فيها تناقض, وفيها كذا وكذا, وأنواع الجدل كثيرة.
يقول: " ((أنى)) كيف ((يصرفون)) عن الإيمان " يعني كأن هذا استفهام تعجب وإنكار كيف يصرفون عن الإيمان مع أنه واضح بين فهم يصرفون عنه ويجادلون فيه.
ثم قال : **((الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا))** هذا بدل من قوله: **((الذين يجادلون))** أو عطف بيان, والفرق بينهما أن عطف البيان يشبه الصفة في بيان المبدل منه, وأما البدل فقد يكون بدلا مجردا عن الصفة, فمثلا إذا قلت جاء زيد أخوك، أخوك هنا بدل لم نستفد منها شيئا كثيرا, لكن إذا جاء عطف البيان مثل هذه الآية: **((الذين كذبوا بالكتاب))** فقد استفدنا منها معنى هو إلى الصفة أقرب منه إلى البدلية, فلهذا يسمونه عطف بيان.
((الذين كذبوا بالكتاب)) أي قالوا إنه كذب, والكتاب هنا محلى بأل كما تعلمون فهل هي للعهد أو للاستغراق أو للجنس ؟ أقرب شيء أنها للجنس, والمؤلف جعلها للعهد فقال: **" القرآن "** ولا شك أنه لا يجوز العدول عن الجنس أو بيان الحقيقة, لا يجوز العدول عن ذلك إلا بدليل انتبه.
فما هو الأصل في الـ أن تكون لبيان الحقيقة أو لبيان الجنس أو للعهد ؟ نعم لبيان الجنس, لأن بيان الجنس يعني الاستغراق وهذا هو الأصل, فإذا جعلتها للعهد فقد عدلت بمعناها العام إلى معنى الخاص وكذلك إذا جعلتها للحقيقة, ونحن نضرب ثلاثة أمثلة ليتبين الأمر:
إذا قلت: الرجل خير من المرأة, هل هي للعموم ؟ لا, لأن من النساء من هو خير من الرجال إذن هذا لبيان الحقيقة, إذا أورد عليك مورد: **((وخلق الإنسان ضعيفا))** لأي شيء هذا ؟ للجنس يعني العموم, يعني خلق كل إنسان ضعيف طيب. إذا أورد عليك قول الله تعالى: **((كما أرسلنا إلى آل فرعون رسول فعصى فرعون الرسول))** للعهد الذكري. **((يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم))** هذا أيضا للعهد الذهني.
هنا المؤلف رحمه الله حمل قوله: **((الكتاب))** على العهد الذهني

وقال أنه القرآن, والصواب أنه عام وأن المراد به جنس الكتاب, وذلك لأن التوراة كذب بها أناس, والإنجيل كذب به أناس, وكذلك الزبور, وبقية الكتب, وآخرها القرآن.

" **((وبما أرسلنا به رسلنا)) من التوحيد والبعث وهم كفار مكة ((فسوف يعلمون))** " وبما أرسلنا به رسلنا عطفها على قوله: **((بالكتاب))** بإعادة العامل, لأن العطف يكون بإعادة العامل وبغير إعادة العامل, فتقول: مررت بزيد وعمرو, هذا عطف بدون إعادة العامل, مررت بزيد وبعمرو هذا عطف بإعادة العامل, ويفيد إعادة العامل استقلال المعطوف عن المعطوف عليه, لأنه ليس تابعا له من كل وجه بدليل إعادة العامل, فقوله: **((وبما أرسلنا به رسلنا))** يدل على أن ما أرسلت به الرسل كأنه مستقل عن الكتاب, ولهذا كانت السنة بمثابة الكتاب في الدلالة ووجوب العمل بها.

((وبما أرسلنا به رسلنا)) قال المؤلف: " **من التوحيد والبعث وهم كفار مكة** " التوحيد يعني توحيد الله عز وجل بما يستحق من الأسماء والصفات والعبادة والربوبية, وأما البعث فهو إخراج الناس من قبورهم يوم القيامة, وقوله: " **وهم كفار مكة** " هذا لا وجه له لأن هذا الوصف التكذيب بالكتاب وبما أرسل الله به الرسل لا يختص بأهل مكة, هم وغيرهم, فالأولى أن يجعل هذا عاما في كل من كذب بمحمد صلى الله عليه وسلم, بل نقول عاما في كل من كذب الرسل انتبه.

لكن إذا قال قائل: **((فسوف يعلمون))** ألا تدل على أن المراد بذلك الكفار الذين كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم ؟ الجواب: لا, لأن قوله: **((فسوف يعلمون))** تهديد لما سيكون في الدنيا وما سيكون في الآخرة بدليل قوله : **((إذا الأغلال في أعناقهم))** والأغلال لا تكون في الأعناق إلا يوم القيامة.

قال تعالى: " **((فسوف يعلمون)) عقوبة تكذيبهم** ".

" **((إذ الأغلال في أعناقهم)) إذ بمعنى إذا ((والسلاسل)) عطف على الأغلال فتكون في الأعناق, أو مبتدأ خبره محذوف أي في أرجلهم أو خبره ((يسحبون)) أي يجرون بها** ". **قوله : ((فسوف يعلمون))** هو تهديد بلا شك كقوله تعالى : **((كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون))** سوف يعلمون إذا الأغلال في أعناقهم, فيقول المؤلف: " **إذ بمعنى إذا** " ومن المعلوم أن إذ تأتي بالحاضر وتأتي للماضي, وإذا تكون للمستقبل, فما الذي

جعل المؤلف رحمه الله يصرف معناها إلى المستقبل ؟ جعله يصرف ذلك إلى المستقبل لأن الأغلال لا تكون إلا يوم القيامة وهو مستقبل, ولكننا نقول: لا حاجة إلى ذلك بل هي إذ على بابها, ولكنها حكاية حال, وحكاية الحال هي التي تجعل المستقبل كأنه حاضر, وهذا أبلغ في التهديد, يعني كأن الأغلال الآن حاضرة لأنها أمر مؤكد ولابد أن يكون.
الأغلال تكون في الأيدي كما قال الله تعالى: **((غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا))** والسلاسل تكون في الأرجل كما قال الله تعالى : **((مقرنين في الأصفاد سرابيلهم من قطران))** لكن هنا يقول الله: **((إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل))** تقتضي أن تكون السلاسل في الأعناق في محل الأغلال, ولكن فيه احتمال آخر بينه رحمه الله بقوله: **" عطف على الأغلال فتكون في الأعناق أو مبتدأ خبره محذوف أي في أرجلهم "** وعلى هذا إذا كانت مبتدأ تقول: الواو للاستئناف, والسلاسل مبتدأ, وخبره محذوف أي في أرجلهم.
" أو خبره ((يسحبون)) " ويكون العائد محذوفا والتقدير يسحبون بها, والسلاسل يسحبون بها, فهنا صار إعراب السلاسل ثلاثة أوجه:
الوجه الأول: أنها معطوفة على الأغلال, فتكون السلاسل في الأعناق, يعني معناه أنه تغل أيديهم إلى أعناقهم بسلاسل.
والثاني: أن تكون السلاسل بالأرجل والخبر محذوف أي في أرجلهم.
والثالث: أن تكون السلاسل في الأرجل والخبر قوله: **((يسحبون))** والمعنى أنهم يسحبون بهذه السلاسل, وهذا المعنى هو أقربها لظاهر القرآن كما قال الله تعالى : **((يوم يسحبون في النار على وجوههم))** فهم إذا سحبوا على وجوههم ستكون السلاسل في الأرجل, فهذا أقرب الاحتمالات التي ذكرها المؤلف رحمه الله تعالى.
وقوله: **" ((في الحميم)) أي جهنم "** ووصفت بذلك لأنها شديدة الحرارة **" ((ثم في النار يسجرون)) يوقدون "** لأن النار وقودها الناس والحجارة.
في هذه الآيات فوائد كثيرة:
أولا: العجب من حال هؤلاء المكذبين بالكتاب وبما جاءت به الرسل لقوله: **((ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله))** وهم والله عجب كما قال تعالى : **((وإن تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد))** .
ومن فوائد هذه الآيات أن الإنسان يصرف عن الحق مع بيانه ووضوحه.

وهذا يؤدي إلى فائدة أخرى وهي خوف الإنسان من أن يصرف عن الحق.
وينتج عن ذلك فائدة ثالثة: وهو سؤال الإنسان ربه دائما أن يثبته, ولهذا كان من دعاء المؤمنين: **((ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا))** فينبغي للإنسان أن يكون دائما على خوف وأن يسأل الله الثبات دائما.
ومن فوائد هذه الآية الكريمة: تهديد هؤلاء المكذبين بهذه العقوبة أن تغل أيديهم يوم القيامة, وأن تسلسل أرجلهم, وأن يسحبون في النار على وجوههم, وكل هذا يوجب للإنسان أن يصدق بالكتب وبما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام.
ومن فوائد هذه الآيات أن الإنسان لا يعلم علم اليقين حتى يشاهد ما أخبرت به الرسل لقوله: **((فسوف يعلمون إذ الأغلال))** وفي ذلك الوقت يقرون بالحق ويقولون: **((قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل))** لكن هذا لا يمكنهم, ولا يمهل لهم في ذلك, بل قال الله تعالى : **((ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه))** .
ومن فوائد هذه الآية الكريمة: إثبات النار وأنها في أشد ما يكون من الحرارة لقوله: **((في الحميم ثم في النار يسجرون)).**
هذا العذاب لا يخفى علينا جميعا أنه عذاب بدني جسدي, هناك عذاب قلبي بينه في قوله: **" ((ثم قيل لهم)) تبكيتا ((أين ما كنتم تشركون من دون الله)) معه, وهي الأصنام "** والاستفهام هنا لا شك أنه للتوبيخ والتنديد والتعجيز كلها يتضمنها هذا الاستفهام, وهذا ألم قلبي لأن الإنسان يندم أشد الندم إذا كانت هذه الأصنام التي كان يعبدها لتقربه إلى الله عز وجل كما يدعي ثم تضل عنها الآن ولا توجد, كما لو أمسكت عبدا مثلا وعذبته وقلت: أين سيدك الذي تدعي أنه يحميك ؟ أليس هذا يكون أشد ندما له ؟ بلى, إذن فهؤلاء يندمون هذا التنديم فيقال: **((أين ما كنتم تشركون من دون الله))** أي مع الله وهي الأصنام, وحينئذ يتحسرون حسرة ليس فوقها حسرة.
ولهذا يقولون ـ إقرار المكره في الواقع ـ: **" ((قالوا ضلوا)) غابوا ((عنا)) فلا نراهم "** إذن عرفوا أنها لن تنفعهم, وأنها غابت عنهم في أشد ما يحتاجون إليها فيه بل قالوا : **((بل لم نكن ندعو من قبل شيئا))** سبحان الله يعني أنكروا أن يكونوا أشركوا كما قال الله تعالى في آية أخرى: **((ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا**

ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون)) فالحاصل أنهم يندمون هذا الندم العظيم ثم ينكرون.
يقول عز وجل : **((بل لم نكن ندعو من قبل شيئا))** ندعو بمعنى نعبد, لأن الدعاء ينقسم إلى قسمين: دعاء مسألة ودعاء عبادة, وكلاهما متلازمان, فدعاء المسألة عبادة كما جاء في الحديث: **(الدعاء عبادة)** ودعاء العبادة أيضا دعاء مسألة, لأنك لو سألت العابد: لماذا عبدت الله ؟ لقال: رجاء ثوابه وخوف عقابه, فهو داعي بلسان الحال, ولذلك صار الدعاء بمعنى العبادة والعبادة بمعنى الدعاء وانظر إلى ذلك في قوله تعالى: **((وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ))** [غافر :60] لكن دعاء المسألة دعاء صريح في السؤال يقول القائل: رب اغفر لي وارحمني إلى آخره, ودعاء العبادة دعاء باللازم, لأن الإنسان إنما يعبد الله خوفا من عقابه ورجاء لثوابه, دعاء المسألة دعاء عبادة صريح أو باللازم ؟ عبادة باللازم, لأن السائل متذلل للمسئول فهو متعبد له.
قال: " ((بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا)) أنكروا عبادتهم إياها ثم أحضرت فقال الله تعالى : ((إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم)) أي وقودها " تمام الآية: **((أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون))** فهؤلاء أنكروا, كذبوا على أنفسهم, ظنوا أن هذا سينفعهم كما لو أن الجاني في الدنيا أنكر جنايته ربما ينفعه ذلك, لكن في الآخرة لا ينفع, حتى أنهم إذا أنكروا ختم على أفواههم فتتكلم الأيدي والأرجل والجلود والألسن بما تعمل, وحينئذ لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا.
في هذه الآية أيضا من الفوائد أن هؤلاء المكذبين بالكتاب وبما أرسل الله به الرسل يعذبون عذابا جسديا بالسلاسل والأغلال والسحب في النار, ويعذبون عذابا قلبيا بالتوبيخ والتقريع والتنديم فيقال: **((أين ما كنتم تشركون من دون الله)).**
ومن فوائد هذه الآية إثبات القول لله عز وجل, هل يمكن أن تأخذ من الآية ؟ الآية لا تدل على هذا لأن القائل لم يبين **((قيل لهم))** ولكنها في آيات أخرى تدل على أن الله يقول لهم ذلك: **((ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون))** الذي يناديهم الله لأنه قال: **((أين شركائي الذين كنتم تزعمون))** ويمكن أن يقال أنهم ينادون من قبل الله وينادون أيضا من قبل الملائكة الذين وكلهم

الله عز وجل, أو يقال أن الملائكة تناديهم ولكن منادتهم أضيفت إلى الله لأنه الآمر بها, كما أضاف الله الوفاة إليه مع أن الذي تتوفى الأنفس مباشرة هي الرسل, ولكن نقول هذه الاحتمالات لا نوردها مع وجود الظاهر, لأن الكلام يحمل على ظاهره حتى يقوم دليل على صرفه عن الظاهر فإذا كان الله يقول : **((ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون))** صريح بأن المنادي هو الله فيبقى على ما هو عليه, ويحمل ما كان مبنيا للمفعول على أن المنادي هو الله عز وجل.

الطالب : **((والسلاسل يسحبون))** ما فيه عائد يا شيخ ؟

الشيخ : ما فيه عائد ؟ ذكرنا العائد, قلنا العائد محذوف والتقدير: يسحبون بها, حذف العائد يجوز, كل ما يعلم فحذفه جائز.

الطالب : فسرتم الاستفهام أنه استفهام تقريري, ثم قلتم من فوائده التعجب ؟

الشيخ : أيهم ؟ **((ألم تر))** نعم . لقوله: **((أنى يصرفون))**

الطالب : إذا التعجب ليس من الاستفهام ؟

الشيخ : لا من **((أنى يصرفون))** استفهام.

القارئ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم **((ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ))** [غافر : 75]

الشيخ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى: **((ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون من دون الله))** من القائل ؟ القائل هو الله.

ما هو الدليل من القرآن ؟ قوله تعالى: **((فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون))** طيب.

هل يحتمل معنى آخر أن القائل غير الله أيضا ؟ ويمكن أن تكون الملائكة أيضا, وينسب إلى الله لأنه الآمر, الآية التي ذكرها صريحة, لكن ما في القرآن آية تدل على أن الملائكة توبخهم أيضا ؟ إذا كان فيه فلا مانع, تكون هذه الآية بنيت لما لم يسم فاعله لهذا السبب طيب.

ما المراد بهذا القيل ؟ ما هو الغرض من هذا ؟ التوبيخ والتنديم طيب. إذن يكون جمع لهم بين العذاب القلبي والبدني, لأن تنديمهم وتنويمهم لا

شك أنه يؤثر عليهم.
قال الله تعالى: **((كذلك يضل الله الكافرين))** كذلك: الكاف حرف ولكنها اسم في الواقع, فهي مفعول مطلـق, وتقـدير الكلام: مثـل ذلـك الإضلال يضل الله الكافرين, فهي حرف صورة, لكنها بالمعنى اسم, هذا الاسم محله من الإعراب مفعول مطلق للفعل الآتي بعده, وكما تعلمون أن مثل هذا التعبير يأتي كثيرا في القرآن, وإعرابه كما سمعتم أن الكاف حـرف بمعنـى مثـل, وأن إعرابهـا مفعـول مطلـق للفعـل الـذي بعـدها, والتقدير في كل سـياق بحسـبه, لكـن فـي الآيـة الـتي معنـا: مثـل ذلـك الإضلال يضل الله الكافرين.
وقوله: **((كذلك يضل الله الكافرين))** أي يجعلهم في ضلال, يقول المفسر: **" ((كذلك)) أي مثل إضلال هؤلاء المكذبين ((يضـل الله الكافرين)) ".**
قـال: **" ويقـال لهـم أيضـا ((ذلكـم)) العـذاب ((بمـا كنتـم تفرحون في الأرض بغير الحق)) "** ذلكـم: المشـار إليـه العـذاب, والمخـاطب أولئـك الكـافرون, ولهـذا جـاءت الكـاف بضـمير الجماعـة, وجاءت اسم الإشارة بالإشارة لمفرد مذكر لأن العذاب مفرد مذكر.
واعلم أن اسـم الإشـارة وكـاف الخطـاب تـارة يتفقـان وتـارة يختلفـان, فاسـم الإشـارة يكـون بحسـب المشـار إليـه, وكـاف الخطـاب بحسـب المخاطب, فإذا قيل لك: أشر إلى مفرد مـذكر مخاطبـا جماعـة نسـاء ؟ ((فذلكن الذي لمتنني فيه)).
أشر إلى مثنى مذكر مخاطبا مثنى مؤنث ؟ ذانكما طيب.
أشر إلى مفـرد مؤنثـة مخاطبـا جماعـة ذكـور ؟ فـي القـرآن **((وتلكم الجنة الـتي أورثتموهـا)).** المشـار إليـه مفـرد مـؤنث والمخـاطب جماعة ذكور,
المهم هذه القاعدة: اسم الإشارة بحسب المشار إليه, وكـاف الخطـاب بحسب المخاطب قد يتفقان وقد يختلفان طيب.
وقوله: **((ذلكم بما كنتم))** الباء للسببية, ومـا مصـدرية, وعلامـة مـا المصدرية أن يصح تحويل ما بعدها إلى مصدر, فمثلا قوله: **((ذلكم بما كنتم))** إذا حولنا مـا بعـدها إلـى مصـدر يكـون التقـدير: ذلكـم بكـونكم تفرحون في الأرض بغير الحق.
وقوله: **((بما كنتم))** معلـوم أن كـان هـذه للماضـي أي قبـل المـوت **((تفرحون في الأرض بغير الحق))** أي تفرحـون بالباطـل, وذلـك

أنهم يفرحون بالشرك والكفر وكل من شاركهم في إثمهم فإنهم يفرحون به.
وقوله: **((بغير الحق))** قال المفسر : " **من الإشراك وإنكار البعث** " وهذا في الواقع قصور إلا إذا كان يريد به التمثيل, وإلا فإن قوله: **((بغير الحق))** أعم من الشرك وإنكار البعث فهم يفرحون في الأرض بغير الحق من الشرك وإنكار البعث والعدوان وتحليل الحرام وتحريم الحلال كالسائبة والوصيلة والحام وما أشبه ذلك, المهم أن قول المؤلف: " **بالإشراك وإنكار البعث** " هذا قصور ما لم يرد التمثيل, فإن أراد التمثيل فإن التمثيل لا يفيد الحصر.
" **((وبما كنتم تمرحون)) توسعون في الفرح** " الواو حرف عطف, والباء للسببية, وهذا الجملة معطوفة على ما قبلها بإعادة العامل وهو الباء, والعطف بإعادة العامل يعني أن الثاني مستقل عن الأول, فهم يعذبون بالأمرين جميعا, يعذبون عذابا خاصا بالفرح وعذابا خاصا بالمرح, وبالباء للسببية, وبما كنتم تمرحون توسعون في الفرح .
((ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها)) ادخلوا فعل أمر, والآمر هم الملائكة, والأمر يراد به الإهانة ليس أمر إكرام ولكنه أمر إهانة, وإلزام لأنه لابد أن يدخلوا, وقوله: **((أبواب جهنم))** جمع, عددها سبعة كما قال الله تعالى : **((لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم))** وجهنم اسم من أسماء النار, وسميت بذلك لأنها ذات جهمة إذا قلنا أن جهنم اسم عربي زيدت به النون, وإن قلنا أنه اسم غير عربي ولكنه عرب فلا حاجة أن نقول إنه مشتق من الجهمة التي هي الظلمة والقعر, وأيا كان فهو اسم من أسماء النار أعاذنا الله وإياكم منها.
((خالدين فيها)) خالدين هذه حال من الفاعل في قوله: **((ادخلوا))** وهذا الخلود هل هو طول المكث أو هو التأبيد ؟ نقول اللغة العربية يأتي فيها الخلود مرادا به طول المكث, ويأتي مرادا به التأبيد, والمراد به هنا الثاني, يعني أنهم خالدون فيها أبدا, ودليل ذلك أن الله تعالى صرح في القرآن الكريم بأن أهل النار خالدين فيها أبدا في ثلاثة مواضع:
الموضع الأول قول الله تعالى : **((إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا))**.
والآية الثانية قوله تعالى : **((إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا خالدين فيها أبدا))**.

والآية الثالثة قول الله تعالى : **((ومن يعص الله ورسـوله فـإن لـه نار جهنم خالدين فيها أبدا))**.

وبهذه الآيات الثلاث يتبين ضعف بل بطلان قول من يقول إن النار ليست مؤبدة وأنها تفنى, فإن هذا القول منكر لأنه مخـالف لصـريح القـرآن, ولا يمكن لإنسان يخالف صريح القرآن لمجرد تعليلات يعللهـا مثـل أن يقـول إن رحمة الله تعالى سـبقت غضـبه وأن هـؤلاء مـآلهم إلـى أن يفنـوا هـم والنار.

يقال: نعم رحمة الله سبقت غضبه لكن وعـد اللـه حـق, أليـس كـذلك ؟ وإذا كان وعد الله حقا فإنهم يخلدون فيها أبدا.

وإذا قال قائل: التخليد الأبدي في هذا العـذاب الأليـم كيـف يكـون جـزاء لإنسان لم يبقى في الدنيا إلا مائة سنة أو ألف سنة ؟ فيكون هنا العــذاب أكثر من زمن العمل, لأنه ما فيه أحد بقي في الدنيا أبد الآبدين, فيقتضي هذا أن يكون فيه ظلم, لأن الجزاء صار أكثر من العمل بكـثير ولا ينسـب له, كما قلت لكم لنفرض أن أحد من الناس عـاش ألـف سـنة أو عشـرة آلاف سنة لكنه عاش إلى أمد ثم نقول عذابه مؤبد يكون هذا ظلما ؟

فيقال: إن هذا أمضى حياته الدنيا كلها في محـادة اللـه ورسـله فيمضـي حياته الأخرى كلها في العذاب, وهذا عدل, ثم أن هذا الذي عذب أبدا قـد قيل له في الدنيا وبين لـه أن جـزاءه العـذاب الأبـدي فلمـاذا يقـدم علـى شيء يعرف أن هذا جزاؤه, وحينئذ لا ظلم ولا عذر للكافرين, فالمهم أن قوله تعالى: **((خالدين فيها))** يشمل الخلود للأبد.